محمود سليمان الظاظا

وشوشة في حضن الليل

شعر

وشوشة في حضن الليل

محمود سليمان الظاظا

شعر

مقدمة

في صمت الليل، حين تهمس النجوم بأسرارها، وتنزلق الخواطر بهدوء بين أصابع الزمن، يولد الشعر.

هذا الكتاب، «وشوشة في حضن الليل»، ليس مجرد كلمات على صفحات، بل هو رحلة بين الضياء والظلال، بين الحقيقة والخيال، حيث يلتقي الحلم بالهمس، والحزن بالسكينة.

كل قصيدة هنا هي بصمة من نفسي، همسة من روحي، ونبضة قلبٍ تبحث عن من يفهم لغة الليل.

للقارئ، أترك المجال لتسافر الخواطر كما تشاء، لتستمع للوشوشة، وتغوص في حضن الليل، وتكتشف ما لم تُقله الكلمات أبدًا.

محمود سليمان الظاظا

1_

عبور الكرام

نتغنّى

بأمجادٍ زائلة،

عبرَ الدهرِ عليها

عبورُ الكرام.

كأوراقِ وردٍ ذابلةٍ،

يابسةٍ

على رُقادِ بطلٍ

من بلادي.

لكن،

ماذا لو أسمعتَ غائبًا؟

أو ناديتَ ميتًا؟

أيطلبُ الأحياءُ المعونةَ

من الأموات؟

سؤالٌ...

يصعبُ أن يجدَ جوابًا.

2

مدينة بيروت العريقة

ليست إيطالية،

ولا إسبانية،

ولا فرنسية،

ولا أمريكية...

إنها لبنانية،

قصيدةٌ

مبللةٌ بهواءِ بيروت،

معطّرةٌ بعطرِها،

مُضمّخةَ بسماءِها،

مفتونةٌ بجمالِها،

جمالِ مدينةِ بيروت العريقة.

3

لا يفقهون

أغلبُ عبادِ اللّهِ سبحانه

صمٌّ، بُكمٌ، عُميٌ،

فهم لا يفقهون.

4

الحاكم بأمره

سأحسبُ نفسي الحاكمَ بأمره،

أُسيّرُ قطيعَ الجِمال،

وزُرَدَ الصباح،

وسُرّاقَ الزرافات،

نحو أمكنتهم المجهولة.

سأحسبُ نفسي الحاكمَ بأمره

على هذه الصحراءِ الخالية،

إلّا من أنفاسٍ متقطّعةٍ

تعبرُها بينَ الحينِ والآخر.

5

الفوضى العارمة في لبنان

الفوضى العارمةُ في لبنان،

تطيحُ بجيوبِ المواطنين،

سيّما الفقراءَ منهم،

إطاحةً كاملة،

تجعلُهم يرونَ

أموالَهم ورواتبَهم الشهرية

تتبدّدُ أمامَ أعينِهم

كالضبابِ...

كالسحابِ...

كالسرابِ الذي يحسبُه

الظمآنُ ماءً.

6

الحياة في سبيل البقاء

لم تعدِ القضيةُ الراسخةُ

في العقولِ والأفهام،

قضيةَ موتٍ وحياة،

بل تجاوزتْ ذلكَ بكثير،

— حتى أضحتْ

الحياةُ في سبيلِ البقاء.

---7

إلى أحد زعماء الشوف

يجدُك شبحُ الجانِّ،

قابعًا في زاويةٍ

من زوايا قصركَ المشيَّد،

مطرِقًا رأسكَ

في مسألةٍ ربانيةٍ،

إيمانيةٍ، محقّة،

تنأى بوجهكَ عنها

منذُ برهةٍ من الزمن.

اتبعْها، ولا تجزعْ،

قبلَ أن تغربَ شمسُكَ،

وينطفئَ نجمُكَ،

ويمحو الدهرُ آثارَ وجهِكَ،

فتخسرَ دنياكَ وآخرتَكَ.

أولم يبلغْكَ قولُ الباري سبحانه:

> بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيم،

"إنَّ الذينَ ماتوا وهم كفّارٌ فلن يغفرَ اللّهُ لهم"

صدقَ اللّهُ العليُّ العظيم.

وقولُه تعالى:

> "فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون"

صدقَ اللّهُ العليُّ العظيم.

هكذا تكونُ العبرةُ،

وهكذا تنكشفُ الوجوهُ،

حينَ يقتربُ الغروب.

8

زخّات المطر 🌧️

عندما تمتزجُ حبّاتُ

المطرِ المنهمرِ،

بالعِطرِ المنسابِ

في حروفٍ،

وكلماتٍ،

وألفاظٍ،

ومفرداتٍ،

ومعاني القصيدة،

تصبحُ القصيدةُ

أجملَ إلهامًا،

وأعمقَ إيحاءً وتأثيرًا،

قلبًا وقالبًا،

شكلًا ومضمونًا.

9

بالشخصي 💫

لمحتُك بالشخصي،

رأيتُك بالشخصي،

كلّمتُك بالشخصي،

خاطبتُك بالشخصي،

عانقتُك بالشخصي،

أحببتُك بالشخصي،

تخاصمنا بالشخصي،

ثم افترقنا —

كلٌّ منّا مضى في طريقه...

بالشخصي.

10

سأختار غيابك 🕊️

سأختارُ غيابك،

بعدما أضحى حضورك

لا يُغريني،

وعطركَ الساحرُ

لا يجذبني،

ونظراتُك الحنونةُ

لا تستهْويني،

وأفكارُك متباعدةٌ كليًا

عن أفكاري،

ومشاعركَ — كتلةُ جليدٍ —

تجاهي.

لهذه الأسبابِ،

ولغيرها...

قرّرتُ هجرانك.

11

السهل الممتنع

من ذا الذي يحولُ بيني وبين شعري؟

وبين نبعِ قصائدي وأفكاري؟

من ذا الذي يُقيّد أسلوبي

الشيّقَ، الفريدَ،

السهلَ الممتنع؟

أنا شبحُ الشعر،

وسرُّ الحروفِ التي لا تُروَّض.

12

من يزعم؟

من يزعمُ أنّ عقاربَ الزمنِ

لا تعودُ إلى الوراء؟

لقد عادتْ بالفعل،

حينَ أُعيدَ احتلالُ

قرى الجنوبِ، وبلداتهِ،

حتى نهرِ الليطاني... وزيادة.

عادَ الزمنُ

إلى الوراءِ،

بل إلى ما قبلَ الوراء،

صدقوا أو لا تصدقوا،

وللكلامِ بقيةٌ

تدمي الحكاية.

13

قصيدة جنوبية

كلُّ الآمالِ اليومَ
معلَّقةٌ على قصيدةٍ جنوبيّة،
قصيدةٍ من نبضِ الوطن،
ومن صبرِ المواطنين،
ومن موجِ البحرِ
الذي يُغنّي للحياة.

فيها القلاعُ شامخةٌ
كأنها أبياتُ شعرٍ
من حجارةِ صيدا وصور،
أثريّتَينِ...
لكنّهما لا تَهْرَمان.
14
قمر إهدن

فقدَ قمرُ إهدنَ
السيطرةَ على نفسهِ كليًّا،
حينَ أسكرتهُ نجمة،
ثم أطفأتهُ نجمة،
وراودتهُ عن نفسهِ
نجمةٌ لا تُقاوَم.

تاهَ في ضوئها،
وانطفأَ بعشقِها،
وفقدَ عقلَهُ... كليًّا.

15

على فوهة بركان

على فوهةِ بركان،

هناك... في جنوبِ لبنان،

إمّا نصرٌ يُزهرُ في الرماد،

وإمّا شهادةٌ

تُضيءُ السماء.

16

باب الإلهام

سأتريّثُ قليلًا،

متحلّيًا بالصبر،

ريثما يعودُ إليَّ

شبحُ الشعرِ

من فلسطينَ المحتلّة،

حاملًا أفكارًا

مغايرةً،

لا شبيهَ لها.

سأتريّثُ قليلًا،

وسأصبرُ قليلًا،

فبابُ الإلهامِ

لم يُغلقْ بعد.

---17

شبح الشعر

لقد خسرَ شبحُ الشعرِ

أغلى ما يملكُ

في جنوبِ لبنان،

مملكتهُ الباهرةَ

المعلَّقةَ

بينَ أطرافِ الأرضِ

وقبابِ السماء.

18

سرقةُ العصر

من عجائبِ هذا الزمانِ الرديء،

ومن غرائبِ أيامٍ انقلبتْ موازينُها،

أن يمدَّ العدوّ الصهيوني يدَهُ الآثمة

إلى أراضٍ لبنانيةٍ واسعة،

وأنهارٍ رقراقةٍ عذبة،

ثمّ يعرضُها للبيع

عبر شركاتٍ أجنبيةٍ عملاقة،

بما يقاربُ

الثمانينَ ألفَ دولارٍ للقطعةِ الواحدة،

ليُشيَّدَ فوقها مستوطناتٌ يهوديةٌ

تتنكّرُ بأسماءٍ عبرية.

يا للنذالةِ إذا نطقت،

ويا للحقارةِ حين تتجسّد،

ويا للرذالةِ وقد لبستْ وجهَ العصر!

إنها سرقةُ العصر

بكل ما تحملُ الكلمات

من وجعٍ... ومن معنى.

19

كلّ ما في الأمر

كلُّ ما في الأمر...

أنّي أبصرتُ هذا الصباح

قصيدةَ النور،

تخرجُ إليّ متعثّرةً

من أهداب الفجر،

فكان ميلادُها

أشبهَ بولادةٍ قيصريّةٍ

تُشقّ فيها الأنفاسُ

لتتنفّسَ هي.

20

لبنان

لبنانُ... بلدُ الجمالِ والألحان،

ووطنُ الشمسِ والحقول،

ومرفأُ السلام.

لبنانُ... أرضُ الخيرِ والمحبة،

ونبضُ الوئام،

وظلُّ الأمان.

لبنانُ... كرمُ الضيافةِ حين يفتحُ أبوابَه،

ومهدُ الحضارةِ حين تنهضُ من تربتِه الأفكار،

وريادةٌ تمتدّ

في شتّى مجالاتِ الحياة.

---21

ماء الورد

سأكتب لكِ قصيدتي هذه،

سموّ الأميرة ليونور دي بوربون،

ملكة إسبانيا،

بماء الورد،

وعلى ورقٍ من الورد،

وبابتسامةٍ تشبه الورد،

وبرقّة الورد،

وعطر الورد،

وجمال الورد،

ودلال الورد،

ولون الورد،

ونعومة الورد...

— فقط لأن الورد — بكل ما فيه

يليق بكِ.

22

خواتيمها السعيدة

حسناً…

وماذا بعد؟

ألم يُسدل الستار على آخر فصلٍ

من فصول مغامراتك العاطفية،

تلك التي ما أنجبت شيئاً…

ولا حتى شبه شيء؟

أولم تبلغ تلك المواعيد

التي أغرتك بالكثير

نهاياتها المنتظرة…

خواتيمها السعيدة؟

23

الشرير

وكان شبحُ الشعر يهمسُ أحياناً:

ربَّنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاءُ بنا،

ونجِّنا من الشرير…

آمين.

---24

Violin

تعزفينَ الـViolin
على أوتارِ قلبي الصغير،
في قاعةِ الكنيسةِ الإنجيلية
الأرمنية – القنطاري،
فتُشعلين أجواءَ المكان
بموسيقاكِ البديعة،
وبحماسةٍ فائقة
تتحركُ الفرقةُ الموسيقية،
ويقفُ قائدُ الأوركسترا
مشدوداً إلى نبضكِ،
والجمهورُ الكبير
يصفّقُ ببراعةٍ وانبهار.

يا لقلبي المسكين…
غلبَه الشوقُ والحنين،
وتلك النظراتُ الناعسة
أوقعته في دوّامةٍ
ما زال بالكادِ
يقوى على الخروجِ منها.

---25

نظرات ذات معنى

نظرتَ إليّ

نظراتٍ ذاتَ معنى،

— حتى إنَّ الشعرَ — من حسنها

خرَّ ساجداً

لإلهِ الحُسنِ والجمال،

الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمد،

الذي لم يلد ولم يولد،

ولم يكن له كُفُوًا أحد.

---26

لا داعي للخوف والهلع

لا داعي للخوف والهلع،

كل ما في الأمر أن قصيدةً ثورية

انطلقت من لبنان الشامخ،

فأضلّت طريقها،

وانحرفت عن وجهتها الطبيعية،

لتجد نفسها مكبلة بالأغلال

في زنزانة مظلمة،

داخل سجنٍ

في فلسطين المحتلة.

27

قصيدة جديدة

كلما حاولت كتابة قصيدة جديدة

للأميرة الجميلة، اللطيفة، المحبة،

والناعمة ليونور دي بوربون،

ملكة إسبانيا،

أجد نفسي عاجزًا

عن وصف كل هذا الجمال والدلال

بقلمي،

وعن بلوغ ذروة رقتها في أبياتي.

28

لحنٌ موسيقي

توقّف اللحنُ الموسيقي

أمام دفترِ الشعر،

متحيّرًا في هيئةِ قصيدةٍ

وطنيةٍ

ضلّت طريقَ معناها الحقيقي،

فشوّهت مفرداتِها،

وألفاظَها،

وحروفَها،

وعنوانَها العريض.

لم تعد تلك القصيدةُ

قصيدةً

بأيِّ شكلٍ من الأشكال،

ولا بأيِّ وجهٍ من الوجوه؛

غدت لحنًا تائهًا

في فضاءِ الوجود،

أو قطرةَ مطرٍ

عائمةً

على صفحة البحر،

ثم انمحَت…

وكأن شيئًا

لم يكن.

29

بلا حسيبٍ ولا رقيب

كانت كلماتُ تلك القصيدة

جنونيةً بحق؛

فقد هجرت فكرةَ الشعر،

وغادرت قصورَ المخيّلة،

ومضت في طريقها

تركض حرّةً

تُسابق الخيولَ الشاردة

في أعالي الجبال،

بلا حسيبٍ

ولا رقيب.

30

لحنٌ موسيقي

وقف اللحنُ الموسيقي

أمام دفترِ الشعر،

متقمّصًا ملامحَ

إحدى القصائدِ الوطنية،

حتى حرّفها

عن معناها الحقيقي:

مفرداتِها،

ألفاظَها،

حروفَها،

وعنوانَها العريض.

فلم تعد تلك القصيدةُ

قصيدةً

بأيِّ شكلٍ من الأشكال،

ولا بأيِّ وجهٍ من الوجوه؛

بل بدت لحنًا تائهًا

في فضاءِ الوجود،

أو قطرةَ مطرٍ

عائمةً

على صفحة البحر،

ثم تلاشت...

وكأن شيئًا

لم يكن.

31

قصيدةٌ صاخبة

سأكتبُ قصيدةً صاخبة،

كالتي يثيرها الموجُ

حين يرتطمُ بالصخر،

والبرقُ

حين يشقّ التلال،

والرعدُ

حين يهزّ قممَ الجبال.

قصيدةٌ صاخبة،

كمعزوفةٍ مجنونةٍ

هربت من دفترِ الألحان،

تبحث عن فضاءٍ

يتّسعُ لضجيجها.

32

ولا الخيال

امتزجت حروفُ قصيدتي

الباهرة

بألحانِ الأوركسترا

الرائعة،

حتى غدتِ الأوركسترا

تعزفُ حروفي نفسها:

الألفَ، والراء، والتاء،

والحاء،

والخاء، والميم، والراء،

والسين، والضاد، والصاد،

والقاف...

كلُّها تنسابُ

مع اللحنِ في تناغمٍ مدهش.

يا لها من نغماتٍ

لا يطالها الخيال.

-33

سِحرٌ ساحر

خرجتْ هذه القصيدةُ

عن طوعي،

وفكري،

وإرادتي؛

فبعدما وُلدتْ

قصيدةَ حبّ،

تحوّلت فجأةً

إلى معزوفةٍ للموت...

وكأنّ يدًا خفيّة

قلَبَتْ روحَها

بسِحرٍ

ساحر.

---34

غالية على قلبي

قصيدتي غاليةٌ على قلبي

إلى حدٍّ

لم يقوَ قلبي معه

على فراقها

ولو للحظةٍ واحدة.

بينه وبينها
حبٌّ دفين،
يتّقد
ولا ينطفئ
أبدًا.

35

معزوفة موسيقية

سأكتبُ لكِ، عزيزتي،
قصيدةَ حبٍّ مُدوّية،
تتشكّل
في هيئةِ معزوفةٍ
موسيقيةٍ مذهلة،
تعزفها الأوركسترا
الوطنية اللبنانية
بقيادة الكونسرفاتوار...
قصيدةٌ
تنبضُ عشقًا
وتتردّد نغماتُها
في نبضي.

36

قاعة السفراء

وكان شبحُ الشعر

يردّد أحيانًا،

وبأعلى صوته،

في المجالس،

وفي المؤتمرات،

وداخل قاعةِ السفراء:

سبحانَ من يتكلّمُ

كلامًا ذاتيًّا،

أزليًّا أبديًّا،

لا بحرفٍ،

ولا بصوتٍ،

ولا بلغة.

37

لا فرق

سأكتبُ شعراً...

وربّما لحناً،

شعراً أو لحناً...

لا فرق!

كلاهما،

في فلكي المخملي،

يدوران

بدون توقف.

---38

خاتمة

ها قد انتهت الصفحات، لكن الليل لم ينتهِ بعد.

الوشوشة باقية في الزوايا، والذكريات ترقص بين السطور، والقصائد تظل تهمس في قلوب من استمع إليها بصدق.

إن الشعر، كما الليل، لا يُقاس بعدد الكلمات، بل بعمق الصمت بين السطور، وبالحظة الانبهار التي يتوقف عندها القلب ليكتشف نفسه.

فلتستمر الرحلة، ولتظل الوسوسة في حضن الليل رفيقك الدائم، حتى نلتقي مجددًا بين همسات الكلمات.

محمود سليمان الظاظا